# الإسلام والمسيحية: نظرات تاريخية

# Islam and Christianity: history Insights

**د. المصطفى كبوس، جامعة القاضي عياض- المملكة المغربية**

**EL mostafa Kabouss, Qadi Ayyad University, The Kingdom of Morocco**

**ملخص**: تسعى هذه الورقة البحثية إلى استجلاء النظر حول تاريخ الإسلام في علاقته بالمسيحية، وهي علاقة متميزة، بسبب قرب المسافة زمنيا بين رسالة الإسلام، ورسالة المسيح عليه السلام، ولذا حرص الإسلام على دعوة المسيحيين إلى حقائق دينهم وأصول معتقدهم، وتوضيح المعتقدات المنحرفة، والمبادئ والأفكار الخاطئة التي تسربت إلى المسيحية، وتهيئة نفوس المسيحيين لقبول الإسلام والإيمان برسالته. وكشف الصورة المرسومة في الوعي الغربي عن الإسلام والمسلمين، حيث كان **تأثير الإسلام** كبيرا في مختلف ميادين الحياة الأوربية إبان العصور الوسطى، وكيف ينظر المسلمون اليوم إلى الغرب.

**الكلمات المفتاحية:** الإسلام، المسيحية، التواصل، الحوار، الدين، المعتقد.

**Abstract:** This paper seeks to shed light on the history of Islam in its relationship with Christianity, which is a distinct relationship because of the proximity of the time between the Message of Islam and the Message of Jesus Christ, peace be upon him. Hence, Islam has tended to show Christians facts of their religion and the origins of their belief, and to clarify the deviant beliefs, and the principles and misconceptions that intervened to Christianity, as well as preparing their souls to accept Islam and believe in its Mission. Islam has also tried reveal the cliché about Islam and Muslims in the Western consciousness, where the influence of Islam was significant in various fields of European life during the Middle Ages, and how Muslims today look to the West.

**Keywords**: Islam, Christianity, Communication, dialogue, Religion, belief.

**مقدمة:**

إن العالم الإسلامي اليوم، مدعو وانطلاقا من مبادئه وقيمه إلى توسيع دائرة تعامله مع مختلف الشعوب، وتعميق رؤيته إلى رسالة الحوار في تجديد العلاقات الإنسانية وتطويرها، والدفع بها نحو تحقيق المنافع والمصالح المشتركة بين الناس كافة، من خلال فتح قنوات الحوار مع مختلف أتباع الديانات والثقافات والحضارات، من أجل التعارف والتحاور معهم، لأن الحوار أضحى ضرورة للعيش الآمن المطمئن فوق هذه الأرض، ومسؤولية الدعوة إليه وتطبيقه في واقع الحال مسؤولية مشتركة بين جميع الأطراف، لأن الحوار يأخذ أشكالا توافقية أحيانا، أو تصادمية أحيانا أخرى، ولا يخفى على أحد الهدف النهائي الذي يبتغيه هذا الطرف أو ذاك من الحوار، بأشكاله المتعددة، فينبغي أن يكون الهدف ساميا من أجل المثاقفة وتأسيس فكر إنساني يتجاوز الحدود ويحطم الدوائر الضيقة، وجعله بمثابة الدعوة إلى الله، التي أمر الله سبحانه وتعالى، أن تكون بالحكمة والموعظة الحسنة، وبالتي هي أحسن، والدعوة إلى التعاون على تحديات العصر ومشكلاته والسعي لحلها.

**مشكلة الدراسة:**

هل يمكن لحوار الأديان أن يسهم في إيجاد البدائل والخيارات الاستراتيجية في سياسة المعرفة والمصالحة بين الأديان والثقافات والحضارات المختلفة؟ وإلى أي حد يمكن لفتح قنوات الحوار ومد جسور التواصل من تشكيل منطلق علمي عملي يساعد من الخروج من نفق التطرف والتعصب الديني الذي تعاني البشرية من ويلاته في الوقت الراهن؟

**أهداف الدراسة:**

-أهمية الحوار في تجاوز التحديات المعاصرة، والحيلولة دون اندلاع المزيد من المشكلات والخلافات.

-تعزيز التواصل بين الحضارات للقضاء على الفكر الأصولي المتطرف.

-تدبير الاختلاف وتعزيز مفهوم العيش المشترك وتمتين العلاقات بين المسلمين وغيرهم.

-كسر كل الحواجز والعوائق التي تحول دون حصول الحوار والتفاهم بين الأديان والحضارات المختلفة.

-فتح المجال أمام أبحاث ودراسات أخرى للبحث عن السبل والآليات الكفيلة للنهوض بحوار الأديان والثقافات والحضارات.

**أهمية الدراسة:**

تنبثق أهمية الدراسة من أهمية موضوعها المتمثل في أهمية معرفة الذات والانفتاح على الآخر واحترام الاختلاف، وفتح قنوات الحوار ومد جسور التواصل بين مختلف الأديان والثقافات والحضارات، لتجاوز الإرث الثقافي الحضاري المثقل بالضغائن والأحقاد التاريخية، التي كانت سببا في إراقة الدماء وإزهاق آلاف الأرواح البريئة، في الوقت الذي أصبحت فيه التهديدات الإرهابية هما عالميا، والتطرف والاستئصال والكراهية واقعا. وتحديد أسباب القصور والتقصير في التواصل والتعارف الإنساني، وتحقيق التعايش السلمي. كما يشكل هذا البحث استمرارا

لمجموعة من الدراسات والأبحاث العلمية، التي يمكن أن تسهم في إغناء التراث البحثي في مجال حوار الأديان.

**تمهيد:**

تاريخ التقاء الإسلام والمسيحية تاريخ متشعب وطويل الأمد، وعميق الجذور، ومتنوع الأطوار، ومتعدد الأوجه، فالمسيحية كانت تتواجد بالجزيرة العربية قبل مجيء الإسلام، وكانت بداية اللقاء بينهما خلال الهجرة الأولى إلى الحبشة وما تلا ذلك من محاورات ومناقشات في مجلس ملكها النجاشي، ثم تتابعت مكاتبات الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملوك ورؤساء النصارى، في كل من مصر والشام ونواحي الجزير، إلا أنه في القرن الثاني الهجري الموافق للثامن الميلادي، وبعد نقل عاصمة الخلافة إلى دمشق، تعرف المسلمون لأول مرة على الفكر المسيحي اللاهوتي، فالمسيحية كانت منتشرة في دمشق والفاتحون المسلمون تركوا حرية المعتقد، وممارسة الشعائر الدينية، كما أبقوا على خمس عشرة كنيسة. والدليل على ذلك أننا نجد عظماء المسيحيين في دمشق عاشوا في عهد العرب مثل يوحنا الدمشقي (675- 749) (لويس غرديه، وجورج قنواتي، 1983).

وتنوعت محطات هذا الالتقاء بين التسامح والعنف والتدافع، والوقائع التي كتب التاريخ على إيقاعها، وضعت الإسلام والمسيحية في موقع الصراع والعداء (ماريو أبستولوف، 2010)، وقد حصر محمود شاكر الصراع بين الطرفين في أربع مراحل:

المرحلة الأولى: صراع الغضب لهزيمة المسيحية في أرض الشام ودخول أهلها في الإسلام، فبالغضب أمّلت اختراق دار السلام لتسترد ما ضاع، تدفعها بغضاء حية متسامحة، لم تمنع ملكا ولا أميرا ولا راهبا أن يمد المسلمين بما يطلبونه من كتب (علوم الأوائل – الإغريق)، التي كانت تحت يد المسيحية يعلوها التراب. وضل الصراع قائما لم يفتر، أكثر من أربعة قرون.

المرحلة الثانية: صراع الغضب المتدفق من قلب أوربة، مشحوناً ببغضاء جاهلية عاتية عنيفة مكتسحة مدمرة سفاحة للدماء، سفحت أول ما سفحت دماء أهل دينها من رعايا البيزنطية، جاءت تريد هي الأخرى، اختراق دار الإسلام، وذلك عهد الحروب الصليبية الذي بقي في الشام قرنين، ثم ارتد خائبا إلى مواطنه في قلب أوربة.

المرحلة الثالثة: صراع الغضب الذي أورثه اندحار الكتائب الصليبية، من تحته بغضاء متوجهة عنيفة، ولكنها مترددة يكبحها اليأس من اختراق دار الإسلام ثالثة بالسلاح وبالحرب، فارتدعت لكي تبدأ في إصلاح خلل الحياة المسيحية، بالاتكاء الشديد على علوم دار الإسلام، ولكي تستعد لإخراج المسيحية من مأزق ضنك مُوئس، وظلت على ذلك قرنا ونصف قرن. وهذه المراحل الثلاث، كانت ترسف في أغلال (القرون الوسطى) أغلال الجهل والضياع. ولم تصنع هذه المراحل شيئا ذا بال.

المرحلة الرابعة: صراع الغضب المشتعل بعد فتح القسطنطينية، يزيده اشتعالا وتوهجاً وقود من لهيب البغضاء والحقد الغائر في العظام على ( الترك – أي المسلمين)، وهم شبح مخيف مندفع في قلب أوربة، يلقي ظله على كل شيء، ويفزع كل كائن حي أو غير حي بالليل والنهار. وإذا كانت المراحل الثلاث الأول لم تصنع للمسيحية شيئاً ذا بال، فصراع الغضب المشتعل بلهيب

البغضاء والحقد هو وحده الذي صنع لأوربة كل شيء إلى يومنا هذا، لأنه هو الذي أدى بهم إلى يقظة شاملة قامت على الإصرار وعلى المجاهدة والمثابرة على تحصيل العلم وعلى إصلاح خلل الحياة المسيحية ولكن لم يكن لها يومئذ من سبيل ولا مدد، إلا المدد الكائن في دار الإسلام، من العلم الحي عند علماء المسلمين...) (محمود شاكر، 2006).

إن هذه المراحل التاريخية، والتي نأنف من ذكرها، لكوننا نعتقد أن عدونا هو الآخر، في حين أن العداوة لا تقبع إلا في داوخلنا، وأمام الأخ الموازي في العقيدة والإيمان، لأن العصبية إنما هي موقف يتحين موقعا (جوزيف كميل جبارة، 2006).

ولقد لبست المجابهة العسكرية بين الحضارتين الإسلامية والمسيحية لبوس الدين، فكلا الطرفين حارب الطرف الآخر لإعلاء راية الحق في نظره. ولقد "شغل الشعار الديني حيزا مهما في الإيديولوجيا الغربية الاستعمارية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والعقود الأولى من القرن العشرين" (أليسكي جور أفسكي، 1996)، لذا فالحروب التي وقعت تحت العناوين الدينية الكبيرة، كانت بعيدة كل البعد عن حقيقة التعبير الديني في سموه الروحي، لأن العنف تعبير عن الترسب السهل لعصبية الدين، والتسامح هو حصيلة الوعي الحقيقي الصعب لرسالة الدين، ولقد عبر عن ذلك أمين معلوف فقال: (لو كان أجدادي مسلمين في بلد فتحته الجيوش المسيحية، بدلا من كونهم مسيحيين في بلد فتحته الجيوش المسلمة، لا أظن أنهم كانوا استطاعوا الإستمرار في العيش لمدة أربعة عشر قرنًا في مدنهم وقراهم محتفظين بعقيدتهم. ماذا حدث فعليًا لمسلمي إسبانيا وصقلية؟ لقد اختفوا عن آخرهم، ذبحوا أو هجروا أو تم تعميدهم بالقوة...) (أمين معلوف، 1999).

في هذا السياق جرت القراءات التقليدية للتاريخ، وفي هذا السياق كانت القراءة الأحادية المقصودة والمعتمدة للتاريخ الإسلامي عند كل من صمويل هنتنجتون وفوكوياما، معادلة أولية للتعرف إلى حروب التاريخ، وحيال هذه القراءة التقليدية يجدر بنا البحث عن قراءة معاصرة للتاريخ، قراءة تقابل بين ضفتي الحدث، قراءة تقوض تاريخا منمطا للمنطقة العربية وللعالم الإسلامي، ساهمت الأحلام والعصبيات والقراءات المبتورة في صياغته، وساهم جهلنا وغفلتنا في تبنيه (ماريو أبستولوف، 2010).

لقد كان الفلاحون في سواد العراق أيام الدولة الساسانية يرتبطون بالأرض، وجلهم في حالة رق واستعباد، خاصة في ضياع الدهاقين والنبلاء، "وتروي المصادر أن هؤلاء دأبوا على جباية الأموال واغتصابها من أصحابها لتدعيم مدخراتهم وإثراء كنوزهم، حتى روي أن ( كسرى خسرو) الثاني اعتلى كرسي الملك وفي خزينته ( 2.68) مليون مثقال ذهبي لترتفع بعد ثلاثة عشر عاما من الحكم إلى (800) مليون مثقال ذهبي مما دفع الفلاحين إلى هجر الأرض نتيجة الإرهاق الضريبي، واللجوء إلى الأديرة طمعا في الترهب وفرارا من الظلم، ولكن بعد الفتح الإسلامي اعتبروا أحرارا، واقتصرت السياسة الإسلامية في عهد الخلافة الراشدة على إبقاء الأراضي في أيديهم بدافع تشكيل القوى المنتجة من جهة، وتحديد مساحات تلك الأراضي بهدف ضبطها فنيا واقتصاديا، مما سهل أعمال جباية الخراج، وأنصف أصحاب الأرض العاملين فيها من جهة أخرى (أبو يوسف، 1999).

وفي ضوء الدور الحضاري المتجدد والمتطور للمسلمين خلال العصر الأموي والعصر العباسي، أمكن للحضارة العربية الإسلامية أن تقدم مثالا من الكونية ونموذجا من العولمة يتسم بالتأثير في أوروبا المسيحية عبر معابر الحضارة في الأندلس وصقلية ودمشق وفاس وغيرها من الحواضر الإسلامية تأثيرا إيجابيا، إذ لم يحتكر المسلمون المنهج التجريبي الذي اكتشفوه، بل تركوا المجال مفتوحا أمام البعثات الطلابية التي كانت تأتي من أوروبا إلى الحواضر الإسلامية لتستفيد من الاكتشافات الإسلامية في مختلف فروع العلوم (غوستاف لوبون، 2013).

كما كانت الدولة العثمانية ملاذا للهاربين من الاضطهاد الديني في إسبانيا وفي أوربا، يقول المؤرخ البريطاني "توينبي" في هذا الشأن: "إنها لأول مرة في التاريخ استطاعت أن تتوحد الكنيسة الأرثوذكسية في ظل الدولة التي كانت استراتيجيتها "وحد واحكم"، بينما كانت الاستراتيجية الاستعمارية تتبنى مبدأ "فرق تسد" (محمد كمال منصور، 1998).

ولقد عرفت المرحلة الأندلسية ازدهارا في الشعر والأدب والهندسة والفنون، نتيجة تلاقي الحضارات والأديان الثلاثة التي تعايشت في الأندلس، ومن التساكن الذي غلب على تجاور القيم الثقافية المتنافرة ، ومع أن المسلمين دخلوا الأندلس فاتحين، يحملون حضارة مختلفة ودينا مختلفا ولغة مختلفة، ومع أن المسيحيين، في استعادتهم للأندلس، بنوا كنيستهم القوطية، عنوة داخل أعمدة جامع قرطبة، فإن المرحلة الأندلسية ما تجلت كحضارة، إلا نتيجة فسحة التسامح المتبادلة قسرا أو طوعا أو تفاعلا ثريا، ولقد ذاق الطرفان في تاريخ الأندلس، الاضطهاد المتبادل، والتسامح المتبادل في دينامية فريدة، كانت الحداثة الأوروبية ثمرة من ثمارها، جراء ما قدمته الأندلس من نموذج حضاري وإنساني (ماريا روزا مينوكال، 2006).

إن التاريخ الذي شهد مراحل قاتمة في العلاقات بين الشعوب المختلفة في انتمائها الديني، لأن من نتاج دواعي الاختلاف، تدافع الإرادات وصراع القوى، عرف أيضا مراحل مضيئة تناقلت إرثا مشتركا، تقاسمه المسيحيون والمسلمون، ولكن التحدي الكبير اليوم بالنسبة للمجتمعات العربية، يكمن في كيفية الاستفادة من هذا الإرث التاريخي الثمين من التسامح المتبادل.

**أولا: صورة الدين الإسلامي عند الغرب:**

النظرة الغربية للإسلام نظرة غير منصفة في أغلب الأحيان، استهدفت تشويه صورة الإسلام والتشكيك في رسالته ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

فصورة الإسلام في الوعي الأوروبي في القرون الوسطى تتحدد من خلال محطتين رئيسيتين:

أولاهما: تكمن في ضرورة التعلم من الإسلام والأخذ منه، لكونه الأقوى.

ثانيهما: التصارع معه كعقيدة غريبة ومعادية. (أليسكي جور أفسكي، 1996).

ويمكن تصنيف هذه الاتجاهات إلى ثلاثة اتجاهات ذات مواقف متباينة تبعا لدرجة تشددها وتمسكها بمعتقداتها الدينية هي:

الاتجاه الأول: وهو الأكثر انفتاحا، وهو اتجاه لويس ماسنيون (محمد النقري، 2006) وأتباعه، ويطلق عليه اتجاه الحد الأعلى.

الاتجاه الثاني: وهو المضاد المتحفظ الذي يطلق عليه اتجاه الحد الأدنى في الانفتاح على الإسلام والاعتراف به، ويفسرون الإسلام تفسيرا وفق أسوأ الأطروحات التقليدية الغربية للقرون الوسطى.

الاتجاه الثالث: وهو الاتجاه الوسط، وهو موقف الانفتاح والود والحوار مع المسلمين، مع أن موقفهم من الرسول صلى عليه وسلم والقرآن الكريم أكثر تحفظا، وهو خلاف تيار الحد الأعلى في الانفتاح على الإسلام.

هذا على مستوى الدراسات، أما على مستوى الكنسية الكاثوليكية، فقد ناقش مجمع الفاتيكان الثاني 1962-1965 على مستوى مذهبي عقائدي مشكلة الكنيسة والديانات غير النصرانية حيث خصص لهذه المسألة تصريحا خاصا حول (علاقة الكنيسة مع الديانات غير المسيحية)، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يتحدث فيها مجمع كاثوليكي عن المسلمين منذ أربعة عشر قرنا، وفي أثناء النقاش انقسم أعضاء المجمع إلى فريقين، فريق يرى التحدث في الوثيقة المقترحة عن الإسلام بروح إيجابية، والثاني تمسك بوجهة النظر التقليدية التي ترى الإسلام يمثل خطرا وتهديدا حقيقيا للكنيسة، ومن ثم طالبوا بإدانته دون تحفظ.

وقد استمرت المداولات والجلسات إلى أن جرى الاقتراع في جلسة علنية في الخامس عشر من تشرين الأول عام 1965 على نص التصريح الخاص ب(علاقة الكنيسة مع الديانات غير المسيحية) فوافق عليه 2226 أسقفا في حين عارضه 88 صوتا فقط.

ويتألف هذا التصريح من خمسة أقسام، والذي يهمنا هو القسم الخاص بالإسلام وهو: (إن الكنيسة تنظر بعين الاعتبار أيضا إلى المسلمين الذين يعبدون الإله الواحد الحي القيوم الرحيم القادر على كل شيء، خالق السماء والأرض، ومكلم البشر الذين يجتهدون في أن يخضعوا بكليتهم حتى لأوامر الله الخفية، كما خضع له إبراهيم، الذي يسند إليه بطيبة خاطر الإيمان الإسلامي، وأنهم يجلون يسوع كنبي وإن لم يعترفوا به كإله، ويكرمون أمه مريم العذراء كما أنهم بتقوى يتضرعون إليها أحيانا. علاوة على ذلك فإنهم ينتظرون يوم الدين عندما يثيب الله كل البشر القائمين من الموت، ويعظمون الحياة الأخلاقية أيضا، ويؤدون العبادة لله لاسيما بالصلاة والزكاة والصوم(أليسكي جور أفسكي، 1996).

وإذا كانت قد نشأت على مر القرون منازعات وعداوات كثيرة بين المسيحيين والمسلمين فالمجمع المقدس يحضّ الجميع على أن يتناسوا الماضي، وينصرفوا بإخلاص إلى التفاهم المتبادل، ويصونوا ويعززوا معا العدالة الاجتماعية والخيور الأخلاقية والسلام والحرية لفائدة الناس جميعا)(أليسكي جور أفسكي، 1996).

يفهم من هذا النص أن المنظور الكاثوليكي للحوار مع العالم الإسلامي يفرق بين شكلين رئيسين أحدهما نظري ويشمل الجوانب العقدية المشتركة، والثاني عملي يرتكز على التعاون في المجال الاجتماعي. وبناء عليه يكون المجمع الفاتيكاني قد حدّد ميادين الحوار العقدي في: كل من التوحيد، والتقليد الإبراهيمي. والدارسات المسيحية لدى الجانبين، وكذلك الدراسات المريمية، ومسائل الآخرة، فضلا عن التعاليم الأخلاقية والعبادات(أليسكي جور أفسكي، 1996).

يلاحظ على النص أنه اكتفى بالتصريح بوصف المسلمين بأنهم أتباع ديانة (يعبدون الإله الواحد) ولم يتعرض للإسلام باعتباره دينا من حيث الاعتراف به، أو بيان الموقف منه. كما اعتبر المجمع أن الخلاص ليس وقفا على الكنيسة؛ وأن لله تجليات عبر أديان أخرى كالإسلام والبوذية والشنتاوية ( Shinto) وغيرها. وامتنع المجمع عن الإشارة القاطعة والصريحة إلى اتّباع المسلمين (ملة إبراهيم) واستعاض عنها بعبارة وصفية تتحدث عن المسلمين(الذين يعتقدون أنهم يتبعون ملة إبراهيم) فهي تصف ولا تعترف.

وسكت المجمع عن صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وقد اقترح بعض المؤتمرين إدخال تعديلات على القسم السادس عشر من مسودة الدستور العقائدي في الكنسية (يؤكد أن المسلمين يعبدون معنا الإله الواحد الرحيم، الذي كلم الناس بالأنبياء) إلا أن اللجنة ألغت هذه العبارة، لأنه يُفهم منها أن الله تكلم عبر محمد صلى الله عليه وسلم أي أوحي إليه، وتضمن التصريح الختامي (الذي كلم الناس).

إن قضية نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من أبرز الإشكاليات التي تواجه مؤتمرات الحوار؛ ولذا رفضت كثير من الأقطار العربية إرسال موفدين لها إلى مؤتمر قرطبة عام1977، الذي شارك فيه أكثر من200 مشارك، محتجين بعدم جدوى حوار بين الديانتين ما دام أن الكنيسة لن تغير موقفها من النبي محمد صلى الله عليه وسلم. (أليسكي جور أفسكي، 1996). وتضمن النص دعوة المسلمين إلى نسيان الماضي، ولم يتضمن النص الاعتذار لهم في حين أن الفاتيكان اعتذر لليهود(بسام داود عجك، 1997).

إن بيان مجمع الفاتيكان الثاني جاء ليبدل وجهة نظر الفكر المسيحي الذي كان سائدا في القرون الوسطى، حيث يعتقد كثير من المسيحيين أن الاسلام عقيدة ابتدعها، محمد صلى الله عليه وسلم، متسمة بالكذب والتشويه المتعمد للحقائق، وإنه دين الجبر والانحلال الخلقي والملذات والشهوات الحسية، وإنه دين العنف والقسوة، وفي المقابل يصورون المسيحية على أنها دين الحق المتميز بالسمو الخلقي وروح السلام وأنها عقيدة تنتشر بالإقناع لا بالإكراه أو قوة السلاح.

يكتب يوحنا الدمشقي بشأن ظهور الإسلام قائلا: ( كانوا يزاولون عبادة الأوثان علنا إلى عهد هرقليوس ومنذ هذا العهد وحتى أيامنا هذه، قام فيهم نبي منتحل ( النبوة) اسمه محمد الذي قد أنشأ هرطقته الخاصة بعد أن تعرف بالصدفة على العهد القديم والجديد، وبعد أن تحاور مع راهب آريوسي. وبعد أن أحرز لنفسه حظوة لدى الشعب عبر تظاهر بالتقوى، كان يلمح بأن كتابا آتيا من السماء قد أوحي به إليه من الله. وفي إنشائه لبعض المعتقدات المثيرة للضحك في كتابه)(جززيف كميل جبارة، 2006).

والملاحظ أن الهدف من هذه الاتهامات ليس إلا تشويه صورة الإسلام والنيل منه ومن النبي صلى الله عليه وسلم، فهي تفتقر إلى الدقة والتعمق. وفي المقابل نجد الكثير من الأسماء اللامعة، ونوابغ الفكر الذين أنصفوا الإسلام وأبرزوا جوانبه المضيئة، من ذلك شهادة المفكر الفرنسي، غوستاف لوبون الذي قال: (إن العرب هم أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين، فهم الذين علّموا الشعوب النصرانية وإن شئت فقل حاولوا أن يعلموها التسامح الذي هو أثمن صفات الإنسان...ولقد كانت أخلاق المسلمين في أدوار الإسلام الأولى أرقى كثيراً من

أخلاق أمم الأرض قاطبة ... والسهولة العجيبة التي ينتشر بها القرآن في العالم ... فالمسلم أينما مر ترك خلفه دينه وبلغ عدد أشياع النبي ملايين كثيرة في البلاد التي دخلها العرب بقصد التجارة لا فاتحين، كبعض أجزاء الصين وأفريقيا الوسطى وروسية وتم اعتناق هذه الملايين للإسلام طوعاً، لا كرهاً ولم يسمع أن الضرورة قضت بإرسال جيوش مع هؤلاء التجار العرب المسلمين لمساعدتهم ويتسع نطاق الإسلام بعد أن يقيمه هؤلاء في أي مكان كان) (غوستاف لوبون، 2013).

وما قاله المستشرق ول ديورانت: لقد كان أهل الذمة المسيحيون والزرادشتيون واليهود والصابئون يتمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيرا في البلاد المسيحية في هذه الأيام(ول ديورانت، 1988 ).

وقالت زيجريد هونكه: إن الإسلام هو لا شك أعظم ديانة على ظهر الأرض سماحة وإنصافا، نقولها بلا تحيز، ودون أن نسمح للأحكام الظالمة أن تلطخه بالسواد إذا ما نحيّنا هذه المغالطات التاريخية الآثمة في حقه، وإن علينا أن نتقبل هذا الشريك والصديق، مع ضمان حقه في أن يكون كما هو(زيجريد هونكه، 1996).

تبين لنا هذه الشهادات أن الإسلام منهج متكامل يوازن بين أمور الدنيا وأمور الآخرة، فهو يتميز بالوسطية والاعتدال في كل شيء، وضع مبادئ الحرية والعدل والإخاء والمساواة لكل البشر، دون محاباة لقوم أو لأمة أو لعرق، وبذلك رفع الإنسان إلى المستوى الإنساني اللائق به دون تفرقة بين الناس، فقضى على العنصرية ووحد أفراد الجنس البشري توحيدا كاملا، فلا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود، وبذلك قضى على جميع العبوديات في الأرض برد العبودية كلها إلى الله وحده، ويعترف بجميع الديانات السماوية السابقة ويؤمن بجميع الأنبياء والمرسلين، لأن جذوره ممتدة في تاريخ الانسان منذ أن خلق الله الانسان، ويمتلك نظاما سياسيا واجتماعيا واقتصاديا عادلا مترابطا، وبذلك استطاع أن يقيم حضارة عالمية إنسانية متكاملة تليق بالإنسان، لأن رسالته جاءت للناس كافة وليست مقيدة بجنس معين ولامحدودة بزمن معين، ولا محصورة بمكان معين.

**ثانيا: نظرة المسلمين للغرب:**

قبل الإسلام الآخر وأرسى قواعد التعايش السلمي معه، انطلاقا من الوحدة الإنسانية، وحرية الاختيار، وتحقيق العدالة والمساواة بين الجميع دون تمييز، ونشر السلم العالمي، داخليا وخارجيا، والآخر هو كل من لا يدين بالإسلام ولا يرضاه حكما في مختلف ميادين الحياة.

ومنذ البداية دعا الإسلام إلى الحوار مع الآخر، خاصة أهل الكتاب، والدعوة مفتوحة إلى يوم القيامة؛ لإقامة حلف فضول يتوافق فيه على مبادئ وأسس تكفل الحقوق وتحقق الأمن، دون أي شكل من أشكال التمييز، لتجاوز الأحلاف المعاصرة سواء أكانت دولية أم إقليمية؛ لأنها لا تحقق إلا مصالح الأقوياء.

ويمكن حصر نظرة المسلمين للغرب في مستويين هما: المستوى العقائدي والمستوى السياسي.

**أ-المستوى العقائدي:** يتصور المسلمون أن الغربيين بعيدون عن الاعتقاد بعالم الغيب، غير أنهم يفرقون بين تعاليم المسيح وبين الكنيسة، فيعتبرون التعاليم وحيا من الله إلا أنها تعرضت للتحريف

والتبديل، والإسلام يُقر تعدد الشرائع عبر التاريخ الإنساني: (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) [المائدة: 50]، مع وحدة الدين (شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) [الشورى: 11]، والإيمان بكل الرسل (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ) [البقرة: 284].

وأن النبيّين إخوة، شرائعهم شتى ودينهم واحد: عَنْ أبي هريرة رضي الله عنه أن النبَّيِّ صلى الله عليه وسلم قال: (أنا أَولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات؛ أمهاتهم شتى ودينهم واحد) ( البخاري، 2003، ح: 3259)، وتشكل دعوتهم عقداً متكاملاً، بدايته آدم عليه السلام ونهايته خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أن رَسُولَ اللَّهَّ صلى الله عليه وسلم قال: (إنَّ مثَلِي وَمَثَلَ ٱلأَنبِيَاءِ مِنْ قَبلِي كمَثَلِ رجُلٍ بَنَىَ بيْتاً فَأَحْسَنَهُ وَأَجْملَهُ إلِّا مَوْضعَ لَبِنةٍ مِنَ زاوِيَةٍ فَجعَلَ النأَّسُ يَطُوفونَ بهِ وَيَعْجُبونَ لَهُ وَيَقوُلونَ هَلَّا وُضعَتْ هذِهِ اللَّبِنَة قَاَل فَأَنَا الَّلبنِة وَأَنَا خَاتِمِ النبَّيِيّنَ) ( البخاري، 2003، ح: 3342)، والإنسان مكرم بغض النظر عن دينه أو معتقده، حيا كان أو ميّتا لقوله تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) [الإسراء: 70]. ومنع الإسلام سب ما يعبده الآخرون أو يعتقدونه؛ لأنه ليس من خلق المسلم الموقن بإيمانه، السب أو اللعن، هذا من جهة، وحتى لا يكون ذريعة لسب الله تعالى، من جهة أخرى لقوله عز وجل: (وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ) [الأنعام: 109]. واعترف بدور عبادة الآخرين وأمر بحفظها لقوله سبحانه: (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا) [الحج: 38].

وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدا لوفد نصارى نجران، بعد أن أقاموا في المسجد النبوي وأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلوا فيه صلاة عيد الفصح). ( البلاذري).

كما كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه عهد أمان لأهل القدس، ( الطبري، 1986)، ولما استقدم المأمون من الري (يزدان بخت) زعيم المناوية، لمناظرة بعض المتكلمين المسلمين، وبعد أن أُفحم، دعاه المأمون لاعتناق الإسلام، فأجاب: نصيحتك يا أمير المؤمنين مسموعة، وقولك مقبول، ولكنك ممن لا يجبر الناس على ترك مذاهبهم. فقال: المأمون أجل (ابن النديم، 1998).

**ب-المستوى السياسي:** يتذكر المسلمون الويلات التي لاقوها وما فعله بهم الإسبان بعد سقوط الأندلس، وما جرى في الحروب الصليبية، ومحاكم التفتيش (زيغريد هونكة، 1996)، وما يجري الآن من حرب ضد الإسلام ورموزه، وما مارسوه من اضطهاد ديني وسفك دماء لمخالفيهم في المذهب شاهد عيان على زيف دعاويهم وسقوط شعاراتهم، فأقباط مصر كانوا يعيشون تحت الحكم الروماني في ذل مرير مع اشتراكهم في الدين، بسبب اختلافهم المذهبي، فالأقباط يعتنقون المذهب الأرثوذكسي، والرومان المذهب الكاثوليكي، فكان الرومان يعذبون الأقباط ويقتلون رجال الدين منهم، فكنيسة" مارجريس" كانت العبادة تمارس علناً حسب المذهب الكاثوليكي، وخفية في السراديب حسب المذهب الأرثوذكسي؛ فرارا من سياط الرومان(محمد قطب، 1989).

ويدرك المسلمون أن الغرب اليوم يعمل على صياغة عدو موهوم له هو الإسلام، ويحاول أن يغذي في نفوس أتباعه هذا الحقد، والاستعداد لمواجهة هذا العدو، بعد سقوط العدو السابق الشيوعية.

ويزداد القلق الغربي ضد ازدياد عدد المسلمين في عقر الحضارة الغربية إذ يقدر عدد المسلمين في دول الاتحاد الاوربي بما يزيد على 20 مليون نسمة ويشكلون نسبة 6% من مجموع السكان. بحيث إن عددهم في ازدياد متواصل بسبب الهجرة أو التجنس أو الدعوة الدينية أو الزيادة الطبيعية مما جعل أعدادهم تفوق أعداد البروتستانت واليهود معاً في أربع دول كاثوليكية، هي: فرنسا وايطاليا وإسبانيا ورومانيا ( زاكي الميلاد، 1998)، واذا أضيف هذا العدد إلى عدد المسلمين في شرق أوربا والبلقان يصبح العدد حينئذ قرابة 10% من سكان أوربا(نديم إلياس، 2002).

وما يعزز توطن القلق على الصعيد السياسي تقرير" المعهد الملكي للشؤون الدولية في لندن"، الصادرُ عام 1992، إذ يؤكد بهذا الصدد أن الإسلام قد كان (بالنسبة للأوربيين دائما موضوعَ حذر، ولكن لم يعد ظاهرة بعيدة ... إنه يشكل جزءا من الواقع الثقافي الذي يميز الأحياء الفقيرة جدا في بعض مدن أوربا الغربية،... فقد تسلل عدو الأمس من البابِ الخلفي ... وهو الآن بصدد تحريك وإنعاش الأوهام اللاعقلانية، التي تَّم إعدادها على مدار قرون: الجهاد ضِدّ الكّفار وبالتالي الاقتناع بالقدر والايمان بالتعّصب)(محمد سعدي، 1998).

وإذا كان الغرب حريصا على أن يسير في طريق الوفاق مع الإسلام، وإزالة سوء الثقة فإنه ينبغي أن يكف عن ممارسة دور ذي الوجهين والمكيالين، إزاء قضايا المسلمين، حيث يبطش بالعراق ويغازل إسرائيل، ويبارك قمع قوى الديموقراطية في عالم الإسلام، ثم يتباكى على ملفات حقوق الإنسان.

وفي الوقت الذي نطالب فيه الغرب بالعودة إلى القيم المسيحية الأصلية، قيم المحبة والعدل، والتسامح والتعاون، والتعايش المشترك، والاحترام المتبادل، لتحقيق الوفاق مع عالم الإسلام، فإن أمة الإسلام ينبغي أن ترتقي إلى مستوى قيمها الحضارية والعقدية، واتخاذ المواقف العملية المتناغمة معها، وأن تغير ما بنفسها ليغير الله ما بها، وتقدم النموذج والدليل على جدارتها بالاحترام والاقتباس، ومن المؤكد أن الأمة الإسلامية، حينما تعود إلى قيمها، لا تنقذ نفسها فحسب، بل تساهم في إنقاذ الغرب والإنسانية بأسرها.

**أهم نتائج الدراسة:** خلصت الدراسة إلى النتائج التالية:

-الحوار سبيل لتحقيق التواصل بين جميع أفراد المجموعات البشرية، لمواجهة التحديات العالمية المختلفة.

-الحوار يمكن أن يساعد المفكرين والمنظرين من الخروج من نفق الهويات المغلقة ومن الإيديولوجيات الدينية المقيتة.

-لابد من الاعتراف بأن المسيحية جزء مهم من الثقافة العربية ساهمت في نهضة الفكر والآداب العربية، وفي بناء الحضارة العربية الإسلامية.

-الإسلام حافظ على حقوق الأقليات الدينية ( المسيحية، اليهودية...)، وأعطاها حقها في ممارسة شعائرها التعبدية، وضمن لها حق العيش الكريم، لأن المساحة المشتركة بين المسلمين وأهل الكتاب مساحة واسعة.

-ضرورة الانفتاح والاختلاط بالآخر وكسر الحواجز، والحد من الصور النمطية.

-الوحدة الإنسانية تتضمن الدعوة إلى التآلف بالتعارف والوئام، وترك التعادي والتناحر والخصام.

**خاتمة:**

علاقة الإسلام بالمسيحية عبر التاريخ لها طابع إيجابي منذ بداية الدعوة الإسلامية، يدل على ذلك دعوته صلى الله عليه وسلم أصحابه بالهجرة إلى الحبشة، وعقده مع نصارى نجران. وإذا كانت الحقب التاريخية قد شهدت حروبا ومجابهات على خلفية اختلاف العقائد الدينية، والتي كانت سببا في الكثير من الدمار الذي لحق الإنسانية، فإنها لا يمكن أن تكون تقربا إلى الله عز وجل، لأنه يدعو إلى المحبة والسلام وليس للكره والضغينة والتقاتل. فإن الوقت قد حان لكي يتعاون أتباع جميع الأديان معا من أجل مواجهة المصير الإنساني المشترك، عن طريق فتح قنوات الحوار، القائم على أساس الاحترام المتبادل، والانفتاح على الآخر، سيما وأن العالم اليوم أصبح بمثابة قرية صغير، مما يجعل التواصل بين البشر أمرا محتوما. والقرآن الكريم دعا إلى فتح الحوار مع البشر عامة، لأنه وسيلة للمعرفة، والمعرفة هي السبيل الأمثل للتواصل ونبذ جميع أشكال التطرف والعنف، كما يشكل إطارا واسعا يساعد المتحاورين جميعا على فهم تقاليد بعضهم البعض، ودراسة ما يلتقون حوله وما يختلفون فيه، من أجل تعميق نقاط الاتفاق، وتفهم نقاط الاختلاف والقبول بها على قاعدة احترام الآخر.

**قائمة المراجع:**

1. القرآن الكريم.

2. أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم صاحب الإمام أبي حنيفة(1999)، كتاب الخراج، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد وسعد حسن محمد، المكتبة الأزهرية.

3. أليسكي جور أفسكي (1996)، الإسلام والمسيحية: من التنافس والتصادم إلى آفاق الحوار والتفاهم، ترجمة: خلف محمد الجراد، مراجعة: محمود حمدي زقزوق، سلسة عالم المعرفة، ع: 215.

4. أمين معلوف(1999)، الهويات القاتلة قراءات في الانتماء والعولمة، ترجمة: نبيل محسن، ط: 1، دار ورد للطباعة والنشر بدمشق.

5. البخاري أبو عبد الله(2003)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تخريج وضبط صدقي جميل العطار دار الفكر، ج3.

6. البلاذري، فتوح البلدان، لجنة البيان العربي، القاهرة، ج1.

7. بسام داود عجك (1997)، الحوار الإسلامي المسيحي، ط:1، دار قتيبة.

8. ابن جرير الطبري (1986)، تاريخ الأمم والملوك، ط: 1، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 3.
9. جوزيف كميل جبارة(2006)، علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحية: آفاق وحدود، مجلة صادرة عن جامعة القديس يوسف، بيروت، معهد الدراسات الإسلامية المسيحية، ع: 4.
10. زكي الميلاد (1998)، الإسلام والغرب هل من منظور معرفي جديد لعلاقات مستقبلية ايجابية، ط: 1، دار الفكر المعاصر.
11. زيجريد هونكه (1996)، لله ليس كذلك، ط: 2، دار الشروق.
12. غوستاف لوبون (2013)، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي.
13. لويس غرديه، وجورج قنواتي(1983)، فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، ترجمة صبحي الصالح وفريد جبر، ط:3، دار العلم للملايين، ج2.
14. ماريا روزا مينوكال(2006)، الأندلس العربية: إسلام الحضارة وثقافة التسامح، ترجمة:عبد الحميد جحفة ومصطفى جبّاري، ط: 1، منشورات دار توبقال للنشر،الدار البيضاء، المغرب.
15. ماريو أبستولوف (2010)، العلاقات الحضارية الإسلامية المسيحية بين احتمالات التعاون والصراع، ترجمة وتقديم مصطفى قاسم، مراجعة السيد يسين، الطبعة الأولى المركز القومي للترجمة القاهرة.
16. محمد سعدي(1998)، الجنوب في التفكير الإستراتيجي الأمريكي نموذج أطروحة صِدام الحضارت، مجلة المستقبل العربي، العدد 236، مركز راسات الوحدة العربية، بيروت، تشرين الأول.
17. محمد قطب (1989)، واقعنا المعاصر، مكتبة رحاب الجزائر.
18. محمد كمال منصور(1998)، توظيف ورقة الأقليات ضد العالم الإسلامي حالة تيمور الشرقية، مجلة السنة، العدد78.
19. محمد النقري(2006)، قراءة إسلامية للحوار الإسلامي المسيحي بعد مرور 40 سنة من البيان المجمعي: الثوابت والمتغيرات، مجلة سلسلة الندوات الإسلامية المسيحية، الصادرة عن جامعة القديس يوسف، ع:4، 21 كانون الأول، دار المشرق بيروت.
20. محمود شاكر(2006)، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، مكتبة الخانجي، مصر.
21. نديم عطا إلياس (2002)، المؤسسات الإسلامية في الغرب والتواصل مع المجتمعات المحلية، مجلة الرائد، العدد 232، الدار الإسلامية للإعلام، المانيا، كانون الثاني.
22. ابن النديم (1998)، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، ج1.
23. ول وايريل ديورانت(1988)، قصة الحضارة. ترجمة: زكي نجيب محمود، تقديم: محي الدين صابر، دار الجيل، بيروت، ج13.